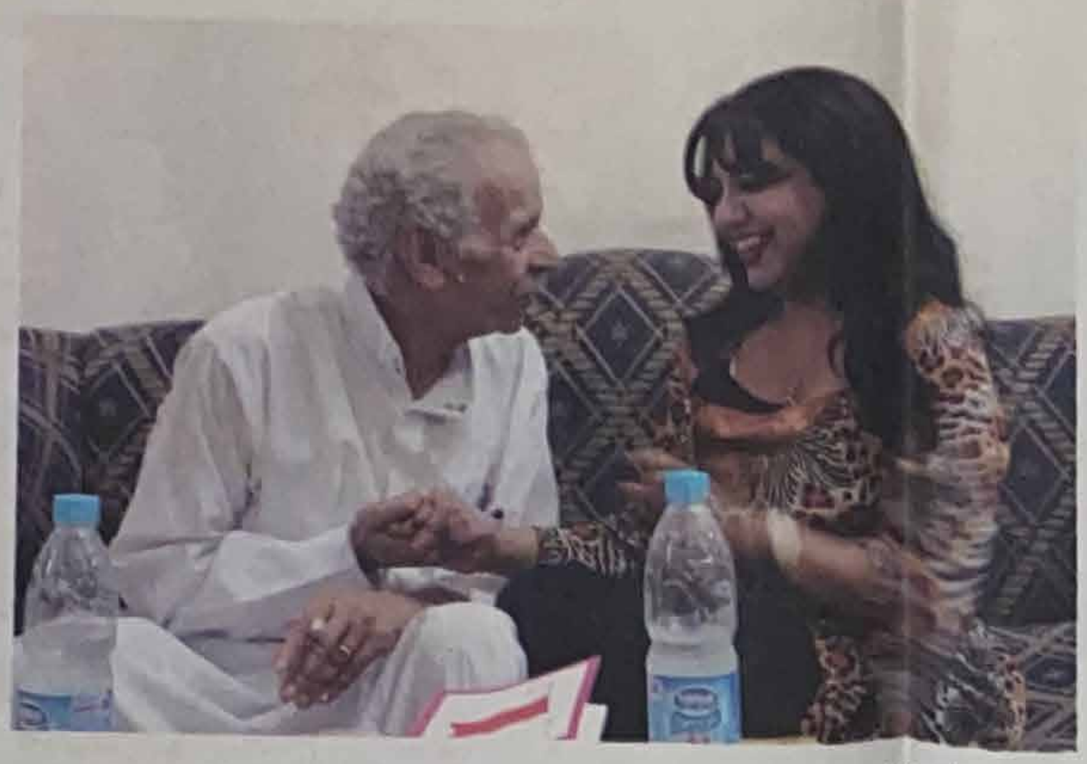

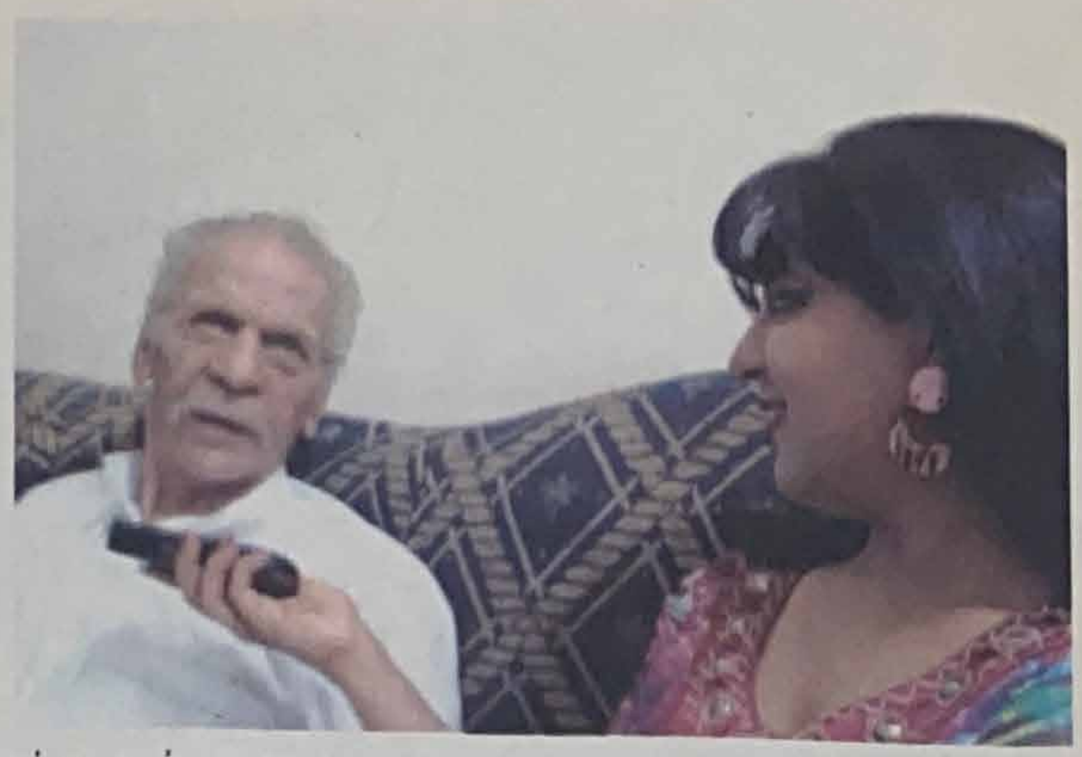

• «أمير الصعاليك» أحمد فؤاد نجم يرد على أسئلة البلاد

ذاكرته ثرية وتذكّر انتفاضة عمال شركة بابكو في 1965

أحمد فؤاد نجم لـ "البلاد": أرى في مصر وجه أمي

أجرى الحوار: بثينة خليفة قاسم من القاهرة

تأكد لي إثر لقاءاتي المتعاقبة بالفاجومي "أحمد فؤاد نجم" بما لا يدعو مجالاً للشك أنه حقاً صعلوك يضاف إلى سلسلة صعاليك الأدب العربي من أمثال الشنفرى، وتأبط شراً، والسليك بن السلكة، وهو - سواء اتفقنا أو اختلفنا فيما يطرحه - علامة بارزة من علامات الشعر في عصرنا الحديث، لا يمكن تجاوزها، أو القفز على مدلولاتها، لما يتمتع به من مزية وخصوصية، جعلت منه في نظر النقاد وأهل الأدب أميراً للصعاليك بلا منازع...

فالصعلوك لغةً يعني الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد، والذي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء. وبالتقرب منه، نستشف أنه رغم الشهرة الواسعة التي يملك، وقدرته على جمع المال بصور شتى، لكنه ارتضى لنفسه قساوة الحياة، وأن يبقى صعلوكاً متشرداً في شوارع قاهرة المعز، يتمرغ في طميها طوراً، ويلعق ريق نيلها طوراً آخر...

يعيش الفاجومي على ما يجنيه من ربح نظير كتاباته ومؤلفاته - التي بالكاد تسد رمق عيشه - فقيمة الإبداع في عالمنا العربي قيمة زهيدة إذا ما قورنت بعوالم أخرى... وذا ما جعله يقيم في غرفة فوق السطوح في مدينة المقطم، انتهى للتو من بيع أقساطها، ليصبح على إثرها - أخيراً - مالكاً لشيء!.. فالفاجومي منذ أن خرج للدنيا من بطن أمه في العام 1929، وهو لا يعرف معنى للاستقرار أو السكنى، ولا مأوى بعينه يحن إليه، فكل مصر أرضه، وهو في ذلك يقول:

باحبك باحبك يا مصر ... مسايا وصباحي ،
أسبح بحبك... وحبك شفايا وجراحي يا مصر... وأسافر بحبك، وأميل زي ميلك... وتحلى الخطاوي ، في حبك يا مصر... وأحب اغترابي في صبحك وليلك، وأحب الوناسة بالرفاقة يا مصر...

"البلاد" التقته، وفيما يلي نص الحوار:

• الشاعر أحمد فؤاد نجم، من أنت؟

أنا فلاح مصري، وصولا إلى الفلاح المصري البسيط، وصولاً إلى أخناتون، ثم أرجع مرة أخرى فأصبح قبطيا مصريا، وأعيد الكرة من جديد لأجدني قد أصبحت مسلما مصريا، فعربيا مصريا.

• ما هي وظيفة الشعر الحقيقي بالمعنى الزمني، وليس الفني من وجهة نظرك؟

أن ينبه الناس إلى وجود مشكلة ما. لقد أراد الاستعمار الإنجليزي سنة 1919 في مصر أن يلعب لعبته الدنيئة بتطبيق سياسة "فرق تسد" بين المسلمين والأقباط، وتنبه نفر من المثقفين المنحدرين من الطبقة الوسطى - التي كانت موجودة زمان، والتي قُتلت الآن- إلى مغزى اللعبة، فتصدوا لها، حينما رفعوا مجتمعين شعـــار (يحيا الإله ويا الصليب، الدين لله والوطن للجميع).

• وما الذي أسهم في تقليص الطبقة الوسطى في مصر برأيك؟

هي لم تتقلص، لكنها تلاشت بالفعل، ما هو موجود الآن عصابات تستخدم أحدث وأقصى أنواع السلب والنهب والقمع، إضافةً إلى سلبهم كرامة المواطن المصري بتخويفه وتجويعه وإفراغه من الداخل، لكن ذلك إلى حين، فلن يستمر الأمر طويلاً.

• وهل صحيح أن وظيفة الشعر اليوم في سبيلها إلى التلاشي، وأن الثورة الصناعية لعبت دوراً نحو تقويض الرسالة الكامنة وراء الشعر؟

على العكس من ذلك تماماً، المفروض أن الثورة الصناعية خدمت الشعر من خلال الفضائيات والأقمار الصناعية، أستطيع أن أشاهد عرض مسرحية هاملت لشكسبير وأنا في بيتي بين أقراني، والثورة الصناعية ليست في خدمة الشعر فحسب، بل هي تخدم السياسة، الخميني على سبيل المثال، استطاع أن يسقط عرش شاه إيران بواسطة أشرطة كاسيت كان يبعث بها وهو جالس في أحد فنادق باريس.

• لعبتم دوراً بارزاً أنتم وشيخ إمام -رحمه الله- في شحذ همم الصفوف الشبابية بالارتقاء بمطالب الشعب، والحفاظ على مبادئ ثورة يوليو 52، هل تجدون شباب اليوم قادرا على استيعاب أشعار السبعينات من القرن المنصرم؟

جيل اليوم وجميع الأجيال المقبلة يملكون القدرة على استيعاب ما أرمي إليه في أشعاري، ذلك أني أعبر عن مشكلات حية، موجودة في كل زمان ومكان، وإن تفاوتت نسبة حضورها، بتفاوت آليات علاجها، وما يميز شباب اليوم هو استخداماته للتكنولوجيا الحديثة، التي وإن قصرت مسافات إيصالها على المستوى الزمني، فإنها أبقت على روح النص.

• من المعروف أن شعر الحداثة مستمد بالأصل من مفهوم "التحديث الغربي"، ولكننا كعادتنا نحن العـرب، أدخلنا عليه الكثير من التحويرات حتى نأى عن مفهومه الأصلي، فأصبح لدينا شعر الحداثة وما بعد الحداثة... لماذا برأيك نحن العرب مبهورون بالنتاج الغربي إلى حد الانبطاح أمامه؟

(ما تضحكيش على نفسك)... أميركا هي أم الدنيا اليوم، وثقافتهم مفروضة علينا بالدبابة، ولكني كعربي، أملك مقومات هزيمتهم عسكرياً، فالأميركان أحسن ناس يَهزمون أينما حلوا وارتحلوا، فقد هزموا في كوريا، وفي الصومال، وفي فيتنام، وفي العراق، وفي جنوب لبنان، والسبب أنهم لا يملكون جذوراً، أما نحن العرب، فجذور هويتنا راسخة في الأعماق لا تتزحزح. ولكني في المقابل أقف وقفة احترام وإجلال للسينما الأميركية، حيث الإبداع والتقنية، وقد بدأوا في سيطرتهم على العالم من خلالها.

يقول شعراء الحداثة إن كتاباتهم تشكل ثورة في محاولاتهم الدؤوبة لكشف عوالم أكثر صدقاً وواقعية، وإن الشعر الحقيقي من وجهة نظرهم يكمن في الجوهر، وليس في الإطار العام لتشكيل القصيدة من حيث التزامها بقافية ووزن ما... ألا تتفق معي بأن المتنبي هو الآخر كان ثائراً في زمنه، وأبو نواس والشنفرى وغيرهم كثر، دونما إخلال بجمالية وآداب اللغة؟

لقد وضعت يدك على الجرح، يأتون لي بقصيدة تضاهي قصائد المتنبي، أو الأسماء العظيمة التي ذكرتها، وأنا أضرب لهم تعظيم سلام، أما شخابيطهم وترهاتهم، فإني أتعذر عن متابعتها.

• ضمن أي خانة تصنف شعرك؟

أنا من سلالة المتنبي وأبي تمام وبيرم التونسي، كما أني من عشاق أبي نواس في شعره وحياته وعشقه للكأس.

يلاحظ أنك موجود بكثافة هذه الأيام من خلال إطلالتك في الفضائيات العربية، هل يعني ذلك بداية لاستنهاض الشعوب العربية وتحفيزها على التنبه بعد سنوات طويلة من السبات وفقدان الوعي؟

أنا لا أملك أن أكون متى أردت ذلك، لكن من حقي وحق جمهوري أن أطل عليهم بين الحين والآخر، ونوشوش بعضنا بما نريد.

• لو كنت رئيساً للجمهورية، ما أول قرار تقوم بإصداره؟

إلغاء حالة الطوارئ، والإفراج عن كل السجناء والمعتقلين السياسيين، كما أقوم بنداء لجميع المصريين ممن هم خارج الوطن، كي نتشاور معاً في سبل ترسيخ دعامات دولة القانون والمؤسسات.

• وجود أمثالك من الشعراء الثوريين مهم جداً في خريطة الشعر المصري لإحداث حالة من التوازن في النفس البشرية المصرية، يا ترى، فيمن ترى نجم خليفتك في الشعر؟

خلفائي كثر، ولكن في طور التشكل، والمثل المصري يقول: (الكتكوت الفصيح في البيضة يصيح)، كما أني أحتويهم وأساندهم بالنصح والإرشاد وعدم اليأس أو الخنوع.

• عينت مؤخراً سفيراً للنوايا الحسنة للفقراء والمساكين، هل أنت سعيد بهذا التعيين؟

هذا أكبر وسام نلته في حياتي، وأذكر في هذا السياق واقعة طريفة وقعت لي، ذلك أنه سألني في يوم من الأيام الرئيس الليبي معمر القذافي: ما آخر أخبارك يا نجم؟ فأجبته أنني أؤسس لفرقة اسمها "المسحراتي"، أجوب بها العالم العربي كي أعرف الآخر على هويتي. فسألني: وأي نوع من الدعم أستطيع أن أمدك به؟ فأجبته: أن تبتعد عني!

• الكاريزما التي أملك كانت سبباً في زيجاتي المثيرة!

واضح أنك معجب بجيفارا، وقد سبق لك أن تناولته في إحدى قصائدك، حيث قلت: مات المناضل المثال يا خسارة على الرجال
مات الجدع فوق مدفعه جوه الغابات..

• ما رأيكم دام عزكم ، جيفارا مات؟

• هل ثمة علاقة تجمعك بالشعراء الثوريين في العالم العربي والغربي؟ وهل تؤيد وجود رابطة للشعر العربي؟

لا تربطني علاقة بالشعراء الثوريين على أرض الواقع، ولكني ألتقيهم مراراً عبر الورق، وأؤيد وجود رابطة للشعراء العرب، وعلى فكرة، فأنا أملك حكومة في الظل، شكلتها مؤخراً حينما تم تعييني سفيراً للفقراء والمساكين، وقمت بتعيين مجموعة ممن أتوسم فيهم خدمتي في أداء رسالتي، ومنهم: السيد المسيح، وغاندي، وعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وأبو ذر الغفاري، ونيلسون مانديلا، وعنترة بن شداد هذا الفارس النبيل الذي حارب التمييز العنصري، وصاحب البيت المشهور:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى، وأعف عند المغنم

وقال عنه الرسول (ص): "ما تمنيتُ أن أرى رجلاً في الجاهلية كعنترة بن شداد، ثم التفت إلى أصحابه رضوان الله عليهم، وقال: حدثوا أولادكم بحديث هذا الرجل".

• ما الذي يدفعك للكتابة؟ وهل ثمة طقوس معينة تمارسها أثناء الكتابة؟

ما يدفعني للكتابة هو أن يكون بداخلي إفراز ما يستوجب إخراجه، فالشعر حالة تتلبس جسدي لا بد من إفراغها، وتحكي إحدى الطرائف أن شاعراً رديئاً قصد أبا العتاهية يسمعه بعضاً من نظمه، فلما فرغ، سأل أبا العتاهية: ما رأيك؟ أجاب أبو العتاهية: في ماذا؟ قال: في شعري!. قال: جميل أنك أخرجت تلك السموم من جوفك!

• هل أنت راضٍ عن نفسك؟

الحمدلله، أنا راضٍ عن نفسي وعن ربي ووطني، وإني على ثقة تامة أنّ غداً سيكون أفضل من (النهارده)، ثقتي أن قرص الشمس الذي سيشرق للغد، ليس هو قرص اليوم.

• صف لي مصر في بيت شعر؟

بيت شعر واحد لا يكفي... ولكني كثيراً ما رأيت مصر في وجه أمي التي كانت رغم العناء والمشقة تأبى على الأنين أو الشكوى... وكثيراً ما كانت تسرد لنا الحكايا والحواديت، التي لا أعرف من أين تستحضرها...

مصر يامه يا بهيه، يا أم طرحه وجلابية ... الزمن شاب، وإنت شابه، هم رايحين وإنت جايه ... جايه فوق الصعب ماشيه، فات عليكي ليل وميه ... وإحتمالك هو هو، وإبتسامتك هي هي ..

• ما الذي تتذكره اليوم من الشيخ إمام رحمه الله؟

أتذكره كله، هو نصفي الثاني، هو الميكروفون الذهبي الذي أوصلت به رسالتي للعالم... شيخ إمام لم يمت، فلا تزال ألحانه وصوته باقيين في آذاننا حتى اليوم، وهناك فرقة لمجموعة أطفال تدعى (إسكندرله) حريصة على بقاء الأغاني التي لها علاقة بوجدان الشارع المصري.

• لمن تقرأ من شعراء منطقة الخليج العربي؟

قراءاتي لشعراء الخليج محدودة، ولكني أتابع كتابات الشاعر قاسم حداد، فهو شاعر ملتزم وصاحب فكر راقٍ.

اقترانكم بعدد من زيجات، أحدث جدلاً في الوسط الأدبي والثقافي؛ إذ نظر البعض لها بعدم التكافؤ بين الطرفين، على أكثر من مستوى، فأنتم ارتبطتم بالكاتبة بنت الذوات صافيناز كاظم، وبإحدى نجمات المسرح في الجزائر (سونيا)، وحفيدة إحدى الباشوات... كيف استطعتم تحقيق هذه المزاوجة بين الصعلكة من جانب، والاقتران بنساء ينحدرن من مستوى اجتماعي رفيع؟

• لا تربطني علاقة بالشعراء الثوريين... ولكني ألتقيهم عبر الورق

إن لكل شريحة اجتماعية ما يميزها من حيث الفكر والقدرة على التعايش مع الأشياء، جميع من ذكرت من نسوة تلمسن داخلي مساحة شاسعة من البساطة وعدم التعقيد، فأنا أنظر للعالم من زاوية تختلف عما ينظر إليه الأرستقراطيون... زاوية لا تخلو من جنون وعدم اكتراث، وقد قالت لي ذات مرة المناضلة الجزائرية "جميلة بوحيرد" المجد للمجانين... أعيش الحياة كما أريد ببساطتها دون تكلف أو شكليات، مما أضفى على شخصيتي مسحة كارزماتية، ما أسهم في جذبهن إليّ!

• نود أن نسمع آخر ما كتبت من قصيد؟

آخر ما كتبت مطلع قصيدة في الرائع حسن نصر الله:

حفيد الحسين لبنت النبي
حبيب الغلابا النبيل الأبي
كما البدر ضيو على الدنيا ضوا
اللهم صل عليك يا نبي..

• هل ترى في السيد حسن نصر الله زعامة عربية نستطيع أن نلتف حولها، ونلقي عليها آمالنا وتطلعاتنا كأمة عربية؟

يا ليت!! لماذا لا نضع يدنا بيد إخوتنا الشيعة، ذلك أقل جرماً من مد يد التعاون مع أعدائنا ممن قتلوا أطفالنا وروعوا نساءنا، أذكر حينما قامت الثورة الإيرانية، وبدأت الصفوف تنشق بين السنة والشيعة، وذلك بإيعاز من القوى الاستعمارية، كتبت قصيدة بعنوان "التضليل"، أقول فيها:

دا شيعة، وإحنا سنة، دا فين ومصر فين!..
عايزين يدخلونا نظام ودنك منين ... وناس تقول شيوعي وعامل نفسه شيعي عشان خايفين طبيعي ليبقوا ثورتين... يا أسيادنا اللصوص، قرينا في النصوص، لو الإنسان يلوص، يفوروا الفرقتين وشفنا في الكتاب... لقينا الدين حساب، وثورة وانتساب، خلاصة الكلام، يزيد واللا الحسين؟!

محطات في ذاكرة الفاجومي

انتقد الفاجومي بأشعاره الرئيس الراحل أنور السادات بقصيدة "بيان هام" ألقاها في أحد المحافل، مقلداً طريقة كلامه، فكانت سبباً في تقديمه لمحكمة عسكرية في العام 1978 بتهمة إهانة الرئيس، ويعد الفاجومي ثاني شاعر عربي يحاكم بسبب شعره بعد الأديب الراحل "مصطفى لطفي المنفلوطي".

لا يمكن تناول شخصية أحمد فؤاد نجم، دون الولوج إلى العالم الذي جمع بينه وبين توأم روحه الشيخ إمام - رحمه الله- وسبق للتلفزيون المصري أن بث برنامجاً خاصاً بعنوان "مع أشعار نجم وألحان شيخ إمام"، حظي بشعبية كبيرة...

رغم ما تعرض له شعر نجم من انتقادات لاذعة، سواء على مستوى طرحه الأدبي أو الفكري، فإن ذلك لم يقف حائلاً دون أن تعد في أشعاره رسائل ماجستير ودكتوراه في عدد من جامعات الوطن العربي.

حياة نجم الاجتماعية هي الأخرى حبلى بالتناقضات، فزيجاته الست لم تسلم من طبيعة مكونه الصعلوكي، حيث الجرأة والجسارة، يقول الشاعر: "فاز باللذات من كان جسورا".

إن ذاكرة نجم ذاكرة ثرية، لا تهدأ ولا تنام... يكتنزها شيء من المرارة والألم، وكثير من الأمل في غد مشرق لمصر والعالم العربي، حينما عرفته بنفسي، وبأنني قادمة من البحرين، استحضر في الحال انتفاضة عمال شركة بابكو في عام 1965، إثر تسريح عدد كبير من موظفيها، التي سرعان ما تحولت إلى انتفاضة شعبية تطالب بخروج المستعمر... هكذا تعرف الشعوب العربية نفسها، وهكذا تتصهر الأحاسيس والمشاعر، ولا يبقى منها سوى عصارة الألم، ومتاهات الاغتراب...